



دراسة منجزة في إطار
المشروع الجماعي لطلبة ماستر 2
فوج 2021 - 2022



ارتباط الشباب بمجال انتمائهم بجهة سوس ماسة
مسارات وحركية

يونيو 2022

صورة 1 تالوين

نيينا كورني، حسن حيسو، فاني موسيه، إلياس ستيتو

طلبة ماستر 2

خلاصة

إطار الدراسة

تأتي هذه الدراسة في إطار شراكة بين المنظمة الفرنسية المغربية "الهجرة والتنمية" وجامعة باريس 8 - فينسين - سان دوني. تم انجازها من طرف مجموعة من طلبة ماستر "مجتمعات البحر الأبيض المتوسط في حركة"، تحت إشراف أساتذة مؤطرين وفريق عمل منظمة الهجرة والتنمية، لمدة 9 أشهر.

يشكل الشباب القروي بجهة سوس ماسة، وخاصة الإناث منهم، رهانا حاسما في الديناميات التنموية المجالية لمختلف مشاريع الهجرة والتنمية، غير أن إدماجه يعاني من مقاومات، بله كوابح، على الرغم من الإمكانيات الحقيقية والوعي الكامل بأهميته من قبل مختلف الفاعلين في المجال. تحاول هذه الدراسة تحليل طبيعة هذه المعوقات وكذلك نقاط القوة التي يمكن الاعتماد عليها.

تتمثل أهداف هذه الدراسة، التي يغلب عليها الطابع النوعي، في إنتاج معرفة حول الظروف المعيشية وممارسة المواطنة لدى الشباب، ومن أجل تعزيز القدرة على تموقعهم كمحاورين مباشرين للفاعلين العموميين من أجل مصلحة شباب المجال.

من إنجاز الشباب، ومن خلال عمل ميداني، تم استجواب 150 شاباً منخرطين في جمعيات المجتمع المدني بإقليمي تارودانت وتزنيت. الإشكالية الرئيسية لهذا العمل تتمحور حول: كيف تمكن حركية (وعلى النقيض من ذلك، أشكال الجمود) شباب جهة سوس-ماسة من تكوين أو إعادة تشكيل الروابط بمجالاتهم، وبالتالي التأثير على أساليب مشاركتهم في الديناميات المحلية؟

يتناول الجزء الأول من هذا العمل الخصائص المختلفة لشباب جهة سوس-ماسة، إذ يمكن من تسليط الضوء، الى جانب الشعور المشترك بالانتماء لفئة الشباب، تتواجد تعددية متميزة من فئة الشباب القروي بالجهة بحيث تتميز كل فئة باختلاف احتياجاتها ومواردها وتطلعاتها. لذلك فإن تفصل مختلف محددات الفئات من الشباب سيكون لها تأثير هام على مستوى التزامهم بقدر تأثيرها على أشكال الحركية.

يدرس الجزء الثاني روابط الشباب بمجالهم وذلك على ضوء التزامهم الجمعي. إن الترابط القائم بين هذين البعدين، يخضع لقيود قوية ملازمة للمجال، يمكن من الفهم بشكل أعمق لأسباب التزامهم وطرق تحقيق هذا الأخير، وأيضا تمكن من معرفة تأثيرات إعادة تشكيل الروابط بالمجال. بحيث يبدو أن لهذه الأخيرة تأثير على علاقة الشباب بالحركية.

وفي الجزء الثالث، نحاول أن نتساءل عن مختلف أشكال وخصائص الحركية الملحوظة لكونها تؤثر على طرق انخراطها في التنمية المجالية للجهة.

المنهجية

أجريت الدراسة في الفترة الممتدة بين أكتوبر 2021 ويونيو 2022. وتستند بشكل خاص إلى مقابلات نصف موجهة وإلى الملاحظة بالمشاركة التي تم إجراؤها خلال مهمة ميدانية دامت 9 أيام، في الفترة الممتدة بين 07 إلى 16 ماي 2022. حيث تم انجاز هذا العمل الميداني بالاشتراك مع الهجرة والتنمية وذلك بالاعتماد على خبرات فريق عمل الجمعية الذي رافقنا على طول مدة الانجاز. من الضروري التأكيد على تحيز مهم في دراستنا، لأن التحليل يعتمد بشكل حصري تقريباً على الشباب المنخرطين في الديناميات الجمعية. بالإضافة إلى ذلك، تركزت دراستنا على ست جماعات ترابية وهي كالاتي: تالوين وأسايس وتنزرت وتارودانت وتزنيت وأربعاء الساحل، والتي تمثل جزءاً محدوداً من جماعات جهة سوس-ماسة التي يغلب عليها الطابع القروي.

خصصت المرحلة الأولى من انجاز هذه الدراسة للتعرف على المشاريع المختلفة التي تنفذها الهجرة والتنمية، بالإضافة إلى مراجعة غير شاملة للأدبيات العلمية حول مفاهيم الشباب والحركية والشعور بالانتماء والمجال ومفهوم التنمية. واستكمالاً لمقابلاتنا الأولى مع الفاعلين الجمعويين من سوس ماسة، قمنا بإعداد مذكرة إطار-عمل للدراسة (انظر الملحق 2) وتحديد الإشكالية.

خلال مهمتنا الميدانية في المغرب، التقينا بما يقارب 150 شاباً من 10 جمعيات وتعاونيتين. (انظر الصفحة 21 - جدول 2 - توزيع الشباب بداخل الجمعيات والتعاونيات التي تمت مقابلتها).

تم إجراء مقابلات نصف موجهة بشكل جماعي بالاعتماد على طريقة المجموعات البؤرية. وتخللتها لقاءات مع منتخبين وموظفين محليين من جماعتي أسايس وتنزرت، والنائب السابق لرئيس بلدية أكادير المسؤول عن الشأن الثقافي والرئيس السابق لجماعة أربعاء الساحل.

خلال المقابلات، تم اعتماد اللغات؛ الفرنسية والدارجة المغربية والأمازيغية، وبدرجة أقل اللغة الإنجليزية. كان لا بد من بذل جهد مستمر للترجمة، مما أثر على مرونة المقابلات وعلى طول الاجتماعات (في المتوسط 3 أو 4 ساعات لكل مقابلة)، رغم تواجد طالب باحث بيننا يتقن اللغة الدارجة، الأمر الذي يعتبر عاملاً إيجابياً ومساعداً، إلا أن إشكالية الترجمة شكلت أحد القيود المنهجية لهذه الدراسة.

أخيراً، تم إجراء تحليل شامل للمقابلات عبر الاعتماد على المحاور الثلاثة للدراسة: الشباب، ارتباط الشباب بالمجال والتزامهم، والحركية.

الشباب: محددات عوامل اللامساواة

فيما يخص تعريف الشباب، الملاحظة الأولى للجهات الفاعلة في التنمية المحلية والحركة الجمعية بجهة سوس ماسة هي تعددية التعريفات. هذا التنوع قابل للمقارنة في الأدبيات العلمية. إذ يعتمد معيار العمر على نطاق واسع، ولا سيما في السياسات العمومية، لتحديد الفئة، وبالتالي حصر مجموعة من الناس يسمون شباب. في السياق المغربي، يحدد المشرعون والفاعلين العموميين فئة من السكان، غالباً ما تتراوح أعمارهم بين 15 و 29 عاماً، يتم توجيههم للانخراط والاستفادة من المشاريع العمومية، هذا المعنى تم تأكيده خلال لقاءاتنا مع الشباب.

سمحت لنا المقابلات التي أجريناها بتحديد بعض الرغبات والتطلعات لدى الشباب، وخاصة المتعلقة بتحقيق الاستقلال (المادي وكذلك الاجتماعي). بالرغم من النقص الملاحظ في استشراف الآفاق المهنية في جميع اجتماعاتنا مع الشباب، إلا أن العقبات التي يواجهونها تبدو مختلفة، وخاصة من منطلق النوع الاجتماعي.

وراء التجارب والأحاسيس المماثلة، يبدو أن اختزال الشباب في فئة واحدة يظل نهجًا مبهمًا لا يمكن من فهم الاختلافات المعبر عنها في القدرة على الفعل أو تحقيق الخيارات الاستراتيجية، لا سيما فيما يتعلق بالحركيات التي تخترق لاف الشباب. تعبئة هذه المحددات المختلفة تبدو لنا مسألة ضرورية، باعتبارها عوامل محددة لقدرات التخطيط والإنجاز التمييزي.

ونعتقد أن الاختلافات بين المناطق القروية والحضرية لها تأثير على الشباب في استكمال مسارهم التعليمي، أو الولوج إلى الأنشطة المدرة للدخل. هذه الاختلافات تخترق كذلك تنوع البيئات الحضرية. في حين أن الأبعاد الدراسية والمهنية، في المحصلة، تظهر كعوامل أساسية في تحقيق استقلالية الشباب، مع إضافة عوامل الولوج المختلفة بكل من المجال الحضري والقروي، علاوة على النوع الاجتماعي.

كما ظهر لنا أن العلاقة مع الهياكل الاجتماعية والثقافية "التقليدية" تتجلى بأشكال متفاوتة الحدة سواء في القرية أو في المدينة. ناهيك عن أهمية الانتماء إلى مجموعات اجتماعية مختلفة ورأس مال اقتصادي وثقافي عائلي.

تلعب كل هذه العوامل التي تم التطرق إليها في سياق هذه الدراسة دورًا مهمًا للغاية في القدرات والوسائل المتاحة للشباب للتخطيط لمستقبلهم أخذًا بعين الاعتبار مجال انتمائهم.

التزام الشباب وارتباطهم بالمجال: علاقة متبسة

اتضح في هذه الدراسة، أن الشباب الذين تم استجوابهم لا يتماهون مع نفس المجال، أو نفس سلم ومستوى المجال الترابي. يعد المجال بالنسبة لفئة منهم هو الدوار حيث نشأوا، ويتمثله آخرون كمكان إقامتهم الحالي، وغالبًا في المدن حيث ينشغلون عادة بدراساتهم أو بجمعياتهم. لذلك كان الهدف هو تعميق العلاقة بالمجال كما يعيشها الشباب من خلال الاعتماد على انخراطهم الجمعي، مع مراعاة العلاقة التي ينشئونها بين حركيتهم وتوقعاتهم القصيرة أو الطويلة الأمد بمجالهم.



الصورة 2 بين أكادير وتالوين

الاستنتاج الرئيسي هو وجود ارتباط متبادل بين الالتزام والمجال، على اعتبار أن العمل الجمعي المحلي يشكل الرباط بينهما، على الرغم من أن هذا يستدعي التزامًا بهدف المشاركة في التنمية المحلية والعطاء لصالح مجموعات الانتماء المجتمعي. وملاحظتنا الأولى هي أن الجمعيات تقدم إطارًا قويًا للتنشئة الاجتماعية للشباب في المنطقة، حيث يتم نقل قيم مثل التضامن والمشاركة والمساواة بين الجنسين. هذه التنشئة الاجتماعية تتضمن علاقة دائمة الحضور بالمجال التي ينتمي لها الشباب. بالإضافة إلى ذلك، يبدو لنا أن هذا الارتباط يتعزز بهوية مجالية قوية غالبًا ما ترتبط بالغة والثقافة الأمازيغية. هذا الميل نحو الالتزام ينتج كذلك أحيانًا من تنشئة اجتماعية أولية، ويجد مصدره في السياق الأسري والاجتماعي.

خلال هذه الدراسة، وجدنا تفاوتات في الالتزام الجموعي، حيث لا يشارك جميع الشباب بنفس الطريقة. عند التساؤل عن أسباب التزام الشباب، تساءلنا عما إذا كان الالتزام ناتج عن غياب خيارات يمكن أن يشكل في نهاية المطاف بديلاً لنقص الأنشطة في الواقع، كما تم تقديمه إلينا. وبالتالي، فإن الالتزام الجموعي لن ينتج فقط عن علاقة «إيجابية» بالمجال، ولكن أيضاً عن علاقة «مقيدة». ومع ذلك، فإن الحوارات التي حصلنا عليها تصف أيضاً الالتزام الجموعي كخيار استراتيجي يسمح بالتكوين واكتساب المهارات التي تمكن في نهاية المطاف من الاندماج في سوق الشغل، سواء في مجال انتمائهم وأحياناً خارجه أو حتى خارج المغرب، مع تهمين سوس ماسة. لذلك هناك ازدواجية في الالتزام بالعمل الجموعي، والذي يمكن أن يعكس ارتباطاً قوياً بالمجال مع الرغبة في الاستثمار في تنميته وكذلك الرغبة في التحرر من مجال الانتماء، حتى ولو مؤقتاً عن طريق الحركية. مع العلم أنه ليس كل شخص لديه نفس الامكانيات للهجرة.

من ناحية أخرى، يمكن أيضاً ملاحظة التفاوتات في الالتزام بالعمل الجموعي من خلال الأسباب التي تدفع البعض إلى عدم الالتزام. وهكذا، ووفقاً للشهادات التي تم جمعها، يمكن تحديد عدة أسباب مثل: ضعف الولوج للمعلومات وغياب التواصل بشأن العمل الجموعي؛ والرقابة الذاتية الناتجة عن انعدام ثقة محتملة تجاه الفضاء الجموعي؛ وكذا الأولوية الاقتصادية في مقابل الوقت المخصص للتطوع.

تشير شروط انخراط الشباب في الجمعيات إلى الوسائل المتاحة لهم لتحقيق ذلك، ولكن أيضاً إلى الاعتبار الذي يتلقونه في السياسات العمومية للدولة وداخل التجمعات، تجاه كبار السن -وعند الاقتضاء- من لجماعت Jma'a. تقودنا المقابلات التي أجريناها مع شباب من سوس ماسة إلى تحليل الالتزام الجموعي للبعض باعتباره هو البعد عن السياسات العمومية التي تستهدف الشباب، ولكنها تعتبر غير فعالة. على العكس من ذلك، يمكن اعتبارها وسيلة للانخراط في "الشأن العام" من خلال تملك آليات لإيصال صوتهم. ولكن، عند القيام بذلك، فإن الوصول إلى الالتزام الجموعي والمشاركة المدنية للشباب يمكن أن يوسع الفجوة مع أولئك الذين لا يستطيعون الوصول إليها. هذه النقطة أكثر بروزاً بين الفتيات القرويات اللاتي قابلناهن.

يمكن أيضاً أن تتأثر العلاقة مع المجال بديناميات "الانفصال"، ويكون لها عواقب على الالتزام الجموعي، وبالتالي على الالتزام في المجال. قد يبدو من الجلي أن ندرس لاحقاً، وربما بطريقة أكثر نوعية، دور شبكات التواصل الاجتماعي وتكنولوجيات المعلومات ووسائل الاتصال في تبني بعض الشباب الذين تم استجوابهم لقيم وأنماط الحياة التي تختلف عن تلك المستخدمة في مناطقهم الأصلية.

مهما كان الأمر، من خلال الأشكال المختلفة للروابط بالمجال، يمكن وصف التزام الشباب بأنه غير متكافئ، ويشكل روابط متباينة مع المناطق الأصلية.

ولذلك اعتبرنا الارتباط بالمجال والالتزام مفهوميين يتردد صداهما بشكل متكرر ويوجد بينهما أخذ ورد. وتتمثل الفرضية في أن طبيعة الالتزام تتوقف على درجة الارتباط بالمجال والعكس صحيح. وبالتالي، فإن الارتباط الذي لا يمكن إنكاره بالمجال بين الشباب المشاركين، لا يمنع عدداً كبيراً منهم من التنقل لفترة طويلة نسبياً. إذا، من الممكن تصنيف بعض السلوكيات على أنها حركات هروب، فإن هذا الارتباط يشكل أحد الإمكانيات المهمة للمجال، من حيث إنه غالباً ما يحفز العائد أو العائد المحتمل بالاستثمار في تنميتها. ومع ذلك، توجد لامساواة فيما يتعلق بالحركية، ارتباطاً باللامساواة في طبيعة الالتزام وبالمحددات المختلفة لشباب سوس-ماسة الأخذة في الظهور.

الحركية كعامل محفز للتنمية

تثير الطريقة التي يخطط بها الشباب لمستقبلهم تساؤلات حول متى يمكن أن تكون الحركية حافزاً للتنمية المجالية، أو على العكس من ذلك، ان تكون عقبة في طريقها. في هذه الدراسة ركزنا على الحركية التي

لا ينقطع فيها الارتباط بالمجال، حيث قد يكون الالتزام الجماعي وسيلة للحفاظ عليها. يطرح سياق سوس ماسة تحديين رئيسيين فيما يتعلق بالحركية: التعليم والالتزام الجماعي، والصلة بين القرية والمدينة.

يعد الوصول إلى الهياكل المخصصة للتعليم عاملاً واضحاً من عوامل الحركية. فالولوج إلى الجامعة والحركية الطويلة المرتبطة بها، لا يتم إلا بعد متابعة مشوار دراسي في التعليم الابتدائي والثانوي؛ ومع ذلك، لا يزال هذا رهانا في المناطق القروية، سواء في التنقلات اليومية أو في هياكل الاستقبال والإقامة، وخاصة بالنسبة للفتيات. رهان التنقل موجود أيضاً من أجل الولوج إلى الجمعيات، مع الحاجة إلى القيام بتنقلات يومية أو منتظمة، في المناطق القروية وكذلك في المدينة، مما يؤثر على الالتزام، وبشكل أكثر من منظور النوع الاجتماعي.

الحركيات التي حددها في سياق دراستنا هي كما يلي:

- بين الدواوير: غالباً ما تتم وبشكل يومي، ويمكن ربطها بالعمل، بالدراسة والاحتياجات اليومية.
- بين الدواوير ومدن سوس ماسة: يمكن أن تكون إما يومية أو خلال فترات، كحالة الإقامة المؤقتة لدى أفراد العائلة أو في الداخليات (دور الطالب) على سبيل المثال في حالة الدراسة خارج الدوار.

- من الدوار أو المدينة نحو أكادير أو أيت ملول: في هاتين المدينتين، يبدو أن وجود تكوينات جامعية وأنشطة اقتصادية التي توفر المزيد من فرص العمل يشجع الشباب الذين تم إستجوابهم على الإقامة هناك. فكرة العودة موجودة دائماً، حتى لو كانت متخيلة في بعض الأحيان.

- من الدوار أو مدن سوس ماسة نحو المدن المغربية الكبيرة الأخرى: تنطوي هذه الحركيات بدافع الاستفادة من تكوين وفرص اقتصادية التي يُنظر إليها على أنها غائبة عن سوس ماسة، يعني قضاء وقت طويل نسبياً بعيداً عن أراضي المنشأ.

- بين كبرى مدن المغرب.

- نحو بلد أجنبي: يتطلع بعض الشباب إلى تكوينات أفضل وظروف معيشية أحسن ولما لا "تحقيق الذات". تمتد فترات التنقل في هذه الحالة على مدى عدة أشهر أو حتى عدة سنوات.

ومع ذلك، فإن هذه الحركيات المختلفة تشترط قدرات التخطيط (هل التنقل ممكن أو حتى يمكن تصوره؟) ووسائل متباينة بشدة. وينطبق هذا بشكل خاص حينما يتعلق الأمر بفتاة و/ أو العيش في منطقة قروية ومنعزلة.

خلال المقابلات التي أجريناها، تم تحديد تجارب مختلفة لحركية الشباب كدوافع للمشاركة والالتزام في مجالاتهم. ولا تظهر إذن متعارضة مع هذا الالتزام، حتى لو كانت في أغلب الأحيان تتم خارج المنطقة القروية التي يأتي منها الشباب.

أشارت الأغلبية من الشباب على رغبتهم في الحركية، مؤكدين رغبتهم في المغادرة ثم العودة للاستثمار في مناطقهم الأصلية. يرغب الكثير منهم في إقامة مشاريع لإحياء الثقافة الأمازيغية، أو خلق فرص للأجيال القادمة، لا سيما من خلال الالتزام الجماعي. وأيضاً، تظهر الرغبة في "رد بعض ما قدمه المجال"، حيث يُنظر إلى الحركية على أنها وسيلة للبحث في أماكن أخرى عن الموارد الغائبة في سوس ماسة لجلبها إليها من أجل خلق فرص للشباب وإنشاء مشروع يتيح لهم العيش وإبراز أنفسهم في المنطقة الأصلية. في هذا السياق، لن تشكل الحركية عائناً أمام التنمية المجالية. ومع ذلك، فإن الرغبة في العودة، المرتبطة بشكل منهجي بالتنقل، تثير أسئلة حول أشكال وطرق ذلك. ولا يزال خطر عدم العودة حقيقياً للغاية، لأنه في الواقع، وبعد إعلان النوايا، الشباب "تقريباً غادروا كلهم".

على الرغم من الجوانب الإيجابية للحركة التي تم التأكيد عليها أو حتى المطالبة بها، لا يزال الشباب يحفظون رغبتهم في المغادرة من خلال الحاجة إلى العثور على فرصة عمل، أكيد، ولكن أيضاً للتفتح وتحقيق الذات و "ليعيشوا حياتهم وأحلامهم". بينما يتم استحضار الحركة باستمرار لارتباطها بالعودة، نلاحظ وجود توتر معين بين الفردي والجماعي مما يثير تساؤلات حول طريقة فهم الحركة. هل نهاجر لأجل مصلحتنا ومصلحة منطقتنا، أو لأجل مصلحتنا أولاً ثم مصلحة المنطقة، أم لمصلحتنا فقط؟ كيف نعيش "الضغط الاجتماعي" الواضح جداً بحيث يتم الحفاظ على الارتباط مع المناطق الأصلية، وبالتالي مع الأسرة و/ أو المجتمعات التي لا تزال تعيش هناك؟

إن إمكانية المغادرة ليست دائماً سهلة أو متاحة، كما هو الحال بالنسبة للفتيات في المناطق القروية حيث يكون ذلك في بعض الأحيان غير وارد. بالنسبة للفتيات، يعتبر الجمود شكلاً من أشكال الجبر الاجتماعي والنوعي. في حالة الحركة، قد يكون من الصعب فصل الحركة المفروضة بوضوح عن الحركة الطوعية، لأنه حتى هذه الأخيرة هي أيضاً حركة تخضع لقيود. الفرص المجالية، والرأس المال الدراسي للشباب والرأس المال الاقتصادي والثقافي العائلي، وقوة الصورة النمطية للنوع الاجتماعي ووزن التعلق بالجماعة، كلها متغيرات ومعايير غير متكافئة تصوغ الوصول إلى الحركة. وبالتالي، يمكن أن يكون البقاء في المناطق الأصلية والالتزام هناك اختيارياً بقدر ما هو اجباري.

لإلتزام الجمعي للشباب والدينامية الجموعية بشكل عام دور محوري في الانغراس المجالي، حيث يسمح بتطوير قدرات المبادرة واكتساب مهارات قيمة في إطار الحركة والتنقل. في خطابات الشباب المستجوب، يظهر اتجاهان أساسيان هما: منطق التحرر فيما يتعلق بقيود مجالاتهم، لصالح الترابط بين الحركة المجالية والحركة الاجتماعية؛ ومفهوم النجاح يرتبط لديهم من خلال ريادة الأعمال و "القيادة"، غير متصل بقيم التعاون والتضامن الجموعي، باختصار يعد هذا توجه ليبرالي. ومع ذلك، توجد عقبات قوية في هذه المجالات. علاوة على ذلك، إذا كانت الدينامية الجموعية يمكن أن تشكل رافعة للشباب في مسارهم الشخصي، فإنها على الرغم من ذلك تساهم في توسيع الفجوات بين هؤلاء الشباب وغيرهم، لجميع الأسباب التي أوضحناها. بالإضافة إلى ذلك، فإن درجة جاذبية المجال، أو ضعفها، لها تأثير كبير على الحركة.

ويبقى من اللافت للنظر هذه الديناميات المتدفقة من الشباب الملتزمين في جهة سوس-ماسة للعمل على تنمية مجالاتهم. هذا التثمين لا ينبغي اختزاله في البعد الاقتصادي أو السياسي. إن خلق تكامل، من خلال الدينامية الجموعية، بين ديناميات التنمية المجالية والتنمية الحركية عند الشباب الذين يرغبون في الوصول إليها، يمثل تحدياً للمناطق القروية ووجب أن يكون هذا التكامل قادراً على السماح بعودة "غنية بالاستثمار"، مكتسبة خلال المسار الشخصي للشباب أو للشباب في حركة.